نحو مستقبل أفضـــل

إننا أمة ذات ماض مجيد . . . هذا ما لا يختلف فيه اثنان . . ثم ماذا !.. حاضر أقل ما يقال فيه أنه زفت وقطران .كما يقول المصريون ، إذن فلنعمل ولنتجه نحو مستقبل أفضل . . وننسى فنتناسى الماضى .

فالماضى شىء حدث وأصبح فى خبر كان كما يقولون ، يكفينا أن نستقى منه العبرة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، ونستلهم المثل العليا فى الشهامة والإباء والبطولة ؛ وإلى هذا الحد يجب أن يكون موقفنا وغايتنا منه ، أما البكاء والتباكى عليه ، أما التستر بحسناته على سيئات حاضرنا ، أما التفاخر بمآثره والتغنى بمعجزاته ، فهذا كله يجب أن ننساه أو نتناساه وننكره على أنفسنا لأسباب كثيرة أهمها أننا إذا فعلنا ذلك ، حكمنا على أنفسنا بأننا من الذين عناهم ابراهام لنكولن حين قال : « إن الذين لا يجدون ما يفاخرون به سوى آبائهم وجدودهم ، مثلهم كمثل نبات البطاطس .. أهم ما فيه مدفون تحت الأرض » وحاشانا أن نرضى ذلك .

والآن وقد آمنا بأننا فى حاجة إلى مستقبل أفضل ، يجب علينا أن نعمل له فنبدأ بأنفسنا ووطننا فنصلحه وتهيئه لأن يكون أهلا لذلك . . ومتى صلح الكويت الابن صلحت الجزيرة العربية الأم ، إذ أن فى صـــلاح الفرد صلاحا للمجموع . ولكنه علينا قبل كل شىء أن نتساءل : هل هذا المستقبل المنشود صعب المنال ؟ . يقول الواقع : لا . . فالحقيقة أن المستقبل الأفضل الذى نتطلع إليه ونتمناه هو فى متناول أيدينا ، ولكنه يأبى - أو ليس من طبيعته - أن ينقاد طائعاً ليظلل قوماً أعماهم الجهل ونسج عليهم الكسل والخمول نسيجه فراحوا فى سنة أهل الكهف إذن فالعلم والعمل هما وسيلتا هذه الغاية العظيمة ، أو هما بالأحرى دواء حاضرنا المريض فأين نحن منهما - خاصة - فى الكويت .

العلم : لست أريد هنا أن أكرر ما سبقنى إليه يراع كل كاتب فسجله وعقل كل مفكر فوعاه ، وهو أن العلم نور وخير وبركة وعز ومجد ، فهذا من البديهيات وحسبى أن أورد بيت الشاعر العربى :

العلم يبنى بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف

والعلم : أو حركة التعليم - بالمعنى الأصح ، هى عندنا بخير والحمد لله ؛ فالبلاد تخطو فى هذا الميدان خطى حثيثة محسوسة ، تبدو جلية فى الإكثار من إنشاء المدارس وما يقابل ذلك من إقبال شديد عليها من البنين والبنات على السواء ، على أن لى رجاء أحب أن أبسطه وأتقدم به إلى المسئولين عن التعليم عندنا ، وهو أن يولوا شديد اهتمامهم الطلبة الذين قطعوا مرحلة طيبة فى الدراسة - أى بدأوا الدراسة الثانوية مثلا - فكثير من هؤلاء يضطر تحت ضغط ظروفه الخاصة أن يترك المدرسة والدراسة ، واعتقادى أن فى هذا ما فيه من إساءة إلى مستقبلهم الخاص من جهة ، وإضرار وإساءة بمصلحة التعليم والمصلحة العامة من جهة أخرى ، ذلك لأن هذه الظاهرة الضارة تساعد على تضخم طبقة أنصاف المتعلمين أو المثقفين ثقافة بسيطة ، وفى الوقت ذاته تعمل على أن تظل مرحلة الدراسة العليا منكمشة على نفسها ، فقيرة جداً إلى العدد الكافى المرضى من الطلاب ، وهذا ما يجب أن تتلافاه إذا أردنا نهضة علمية فعالة .

ويسرنى هنا أن أقول أن حركة العلم والتعليم ، هى كذلك مرضية ونشيطة فى معظم البلدان العربية الشقيقة مما يجعلنا نطمئن إلى هذه الناحية ويعزز أملنا فى المستقبل المنشود .

العمل : يقول أحد الكتاب الانجليز المشهورين « إن العمل نوع من العبادة يجب أن يقدس وأن هناك دائما أملا فى الرجل الذى يعمل ، أما اليأس الدائم المؤبد فلا يوجد إلا حيث توجد البطالة والخمول » . وما أحرانا أن نتدبر هذا القول الحكيم فنقدس العمل والواجب ونؤمن بأنه سبيلنا إلى عيشة الكرامة والمجد ، لأننا مع الأسف لا نقدس العمل ولا نحسب له فى ميزاننا حساباً يذكر ، بل نحن مع الأسف مرة أخرى لم نتعود — أولم نحاول أن نتعود حتى الآن — أن نأكل مما نزرع أو نحتمى بما نصنع ونلبس مما ننسج ونحيك ، بل نعيش عالة وكلا على الأمم الأخرى وهذا يجب أن نضع له حداً بأن نعمل وننتج .

« إن الوقت من ذهب » هذا هو شعار الغربيين دائماً ومن واجبنا أن نجعله شعارنا أيضاً فنستغل أوقاتنا فيما يعود علينا بالنفع والفائدة وتحسين مركزنا فى الحياة .

ومتى حصلنا على قسطنا الكافى من العلم وروضنا أنفسنا على الدأب على العمل . أصبح فى إمكاننا عندئذ أن نحقق المستقبل الأفضل الذى نصبو إليه وأن نعيد الماضى فى صورة أخرى أبهى وأروع نستطيع أن نفاخر بها عند ذاك وسن حقنا أن نفعل .

الكويت : **يوسف السيد هاشم**